



نبدأ حديث الثورة من حلقة الأخيرة من خطاب الرئيس الأسد، وقد جاء حملة دعائية ونوعاً من الحرب النفسية، وللإيحاء بأن الأمور في قبضته، وأن كل شيء تحت السيطرة، وتكلم بتمثيل وتصنيع وافتعال، ولم يكن قط مقنعاً؛ لأنه هو نفسه ليس مقنعاً فكيف يكون مقنعاً؟

وأجمع كل من تحدث عن الخطاب أو كتب عنه أنه تكرار لخطابه الأول في شهر مارس سنة 2011 عندما كان وليد المعلم يستهزئ ويسخر ويقول: مشكلة في سوريا؟! أي مشكلة؟!

والآن الأسد يعيد المهرولة ويعيد إنتاج أطروحتات القذافي، ويتحدث عن تمويل خارجي وتأمر من دول الخليج وأمريكا. وهو يعلم والعالم كله يعلمحقيقة موقف أمريكا وإسرائيل منه أنها تمنع سقوطه، أو تؤخره بكل ما أوتيت من قوة ووسائل ضغط.

وكما قال بعضهم: لماذا أمريكا نفسها، في قضية انسحاب الأسد من بيروت أندرته ثلاثة أيام، فانصاع كالأنبوب وخرج، فلماذا الآن أمريكا لا تملك حيلة ولا وسيلة للضغط على هذا المستأسد؟! على أن خطاب الأسد الذي لم يعجب أي أحد راق إيران، وشهدت للعروض باعتبارها أمها أو خالتها! وطالب الجميع بال التجاوب معه، علماً أنه لم يطرح شيئاً إلا ثبيت نفسه وبرئته ساحته وإلقاء التهم الجاذف على غيره، وبخاصة تهمة شن حرب طائفية بغيضة! ويا عجباً من الذي يثير الفتن الطائفية؟ وهو بالمناسبة منطق المالكي في مواجهة المطالب المحققة لأهالي مناطق الأنبار وغيرها من المحافظات المهمشة والمقصدة التي تعامل معها بطارقية فظة.

وهل كانت محاكمة صدام حسين إلا طائفية؟

ولماذا يحضر مقتدى الصدر إعدام الرجل؟ وبصفته ماذا؟

وهل قيادات الجيش في سوريا بيد غير العلوبيين؟

والأجهزة الأمنية بيد من؟

نعود إلى خطاب الأسد الذي كان في موقفه ذاك خطيباً لا خطيباً، وكم كان مستفزاً في كلماته وأدائه للكلامات! وكم كان التصفيق المصنوع المفتعل المبرمج المدروس المأمور به مثيراً للاشمئزاز والتقدّر.

باختصار كان الخطاب استعراضاً مسرحياً وعملاً تمثيلياً درامياً سورياً من الدrama السورية، لكن على مستوى جودة أقل كثيراً.

أرجل يقف يخطب بهذا البرود المثلج وقد دمر بلده عن آخرها؟
ولماذا تجاوز البدايات؟

إن بداية الثورة معروفة للفاuchi والداني، فلماذا تجاوز المظالم وتجاهل المطالب؟

كانت غضبة محدودة محصورة، حولتها غطرسة النظام وطائفته وسادنته وعدوانيته إلى ثورة عارمة عمت كل أجزاء القطر السوري، فلم التعامي؟

إن الأسد في مكابرته الفجة لا يدافع عن شخصه فقط، وإنما يدافع عن عصر والده الذي كان أشرس زعيم على شعبه، وأكثره دموية وعنفاً وغلظ قلب وقسوة!

إنه يظن أنه بهذه المكابرة يحمي رأسه وعائلته وطائفته، والعكس هو الصحيح الذي سيقع ويحصل؛ لأن العناد يقوده إلى مزيد من الاستبداد ومزيد من تخريب البلاد، ومزيد من الدمار والدماء والأشلاء والعذابات للشعب السوري الحر الكريم، وهذا يجعل القصاصين القادم بحقه شديداً مهولاً على قدر جرائمه.

لقد سد كل الطريق لتسوية أو حل أو تفاهم!

وجاء خطابه ضغطاً على إبالة، وثالثة الأثافي، وصباً للزبít على نار الثورة.

أبعد كل هذه الدماء والأشلاء والاغتصاب والعناب والتغيير للملايين، ما زلت تستهين بكل ذلك وتبرئ ساحتك لأن شيئاً منك لم يقع ولم يكن، وبراءة الأطفال في عينيك؟!

أظن هذا يقبل في عقل إلا عقل المأفوون، وعقل إيران، ومن يتعاطى المخدر والأفيون؟

2- الثورة السورية أحق ثورة بالتأييد

عجبت من انقسام الناس بين مؤيد للثورة السورية، ومتعدد فيها، أو منحاز إلى الطائفي البغيض، وإيران شريك أمريكا في اقتسام العراق وتدمير أفغانستان وقتل علماء القطر العراقي.

مع أن أحق الثورات بالمعونة والوقوف المساند إلى جانبها هي الثورة السورية، فالشعب السوري قدم أغلى التضحيات من دمه وعرقه وجهده وحصيلة عمره؛ فأغلب المنازل مهدمة، وال محلات دمرت أو نهبت!

إن سوريا تحتاج إلى إعادة إعمار من الصفر ومئات المليارات من الدولارات وعشرين السنوات من أجل فرد طائفي مدلل، كسر كل منزله ويتوقع لا يحاسب!

إن «البابا» العنيف جداً مع الشعب كان مع هذه العاهات من عائلة الأسد جد لطيف حتى أفسدهم بدلالة، فعاد الواحد منهم يرتكب من المجازر ما يشيب له الغراب، دون أدنى توقع أن يناله أدنى عقاب أو عتاب!

فالشعب السوري أحق شعب بالتعاطف معه!

لأنه أطول الشعوب معاناة من قهر الطواغيت، فقد نيف حكم آل الأسد والطائفة المتلبسة بلباس الكذب من ادعاء الانتماء إلى البعث، أقول نيف حكمهم على الأربعين سنة.

ولأن الشعب السوري كان مع الجميع أكرم الشعوب وأوفرها عطاء، فما من ثورة من أقصى المغرب العربي إلى أقصى المشرق العربي إلا وجدت في الشعب السوري الحاضنة والداعمة.

ثورة الجزائر والمغرب وغيرها لجأ رموزها من بطش الاستعمار إلى سوريا، فوجدوا الوطن والأهل والدعم والدفء، فهل عجيب أن نقول إن ثورتها أولى الثورات بالنصرة؟!

على أنني برغم ما أقول لا أرى نصرتهم برجال، حتى لا يقال القاعدة هي التي تقود المعركة وهذا غير صحيح.

ولقد قلت من قبل إن أكبر اختراق لتنظيم القاعدة هو من الدولة السورية، ولست أستغرب أن تكون الدولة المارقة تلك هي وراء تسريب بعض العناصر لتخريب الثورة!

ثم إن الشعب السوري مليء بالرجال والرجلة، ثم هل تريدون أن تغطوا على الدعم المطلق للنظام في سوريا من خلال المدد الإيراني بالمقاتلين، ومد حزب الله للنظام المجرم، بشكل مفتوح ومفتوح ومطلق، فكانت خسارة حزب الله لا تقدر ولا تتعوض.

فخسرنا مشروعًا كنا نحسبه مشروع مقاومة، فاكتشفنا أنه لم يكن إلا فخاً طائفياً، وانكشف الغطاء في أقرب مطب وأهون تجربة!

إن النظام الأسدية لا يستحق الدعم، فليس هو أفل فساداً من باقي الأنظمة، بل هو قمتها في الفساد المالي والسياسي والأخلاقي والأمني، ومن قتل عmad مغنية؟

ولماذا صمت طيلة هذه السنين؟

إن التبرير الذي استمعناه مراراً: أن يأتي الرد متأخراً ليأتي بحجم قائد كبير كمفخخة، هذا لم يعد مقنعاً!

وإنما الذي يعتقد أن التواطؤ من النظام السوري هو الذي جعلكم كبالغ السكين، هذا التواطؤ في مقابل شطب سوريا من قائمة مغتالي رفيق الحريري، وقد حدث وألصقت بكم تهمة اغتياله وتنوسيت سوريا!

والثورة السورية أحق الثورات بالنصرة؛ لأنه ما تکالب عليها الأعداء، وتداعي إليها الأكلة وتنادى المجرمون وعصابات الإجرام الدولية، وتواطأ السفلة في العالم، أقول ما حصل شيء من ذلك بمقدار ما حصل في حالة الثورة السورية، فإذا كان التواطؤ العالمي على أشد ما يمكن، فلتكن الوقفة مع سوريا بحجم التواطؤ على سوريا!

وإن ثورة مصر مهمة، ويبدو أن ثورة سوريا لكثيرين أكثر أهمية، ويبدو أن من هؤلاء الكثيرين إيران وإسرائيل.

3- آفاق مستقبل الثورة

كما انتصرت باقي الثورات ستنتصر -بإذن الله- الثورة السورية. إن لم تكن هي الأحق بالنصر؛ نظراً لعظمة التضحيات وشدة إجرام النظام وبطشه، وما كان الله ليذر هذا المجرم وزبانيته، وما كان ليتخلى عن عباده المستضعفين: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض)..).

لكن هذا المجرم والقوى الدولية الداعمة له من الإقليم ومن الشرق ومن الغرب ومن الصهيونية، قد ينقلون الثورة إلى صراع لا تريده ولا تريده ذلك هو الحرب الطائفية.

وهذا أبعد ما يمكن عن الثورة السورية، لكن المجرم هو الذي سيجر بلد إلية، كل ذلك من أجل منصبه ونهبه الذي انتهية من هذا البلد العظيم.

وقد يجرؤون البلاد إلى تناقضات بين القوى المقاومة وبعضها، في بعض القوى الإسلامية التي جاءت للنصرة كما يقولون قد يتحولون إلى متحكمين في مسار الثورة، وهذا خطأ قاتل. ويدعو إقامة خلافة على الخرائب الموجودة قد يقعون في تناقض مع القوى الأخرى، وهذا ما نحذر منه منذ الآن. وقد تتدخل القوى الكبرى عند لحظة السقوط؛ لتدعي أن لها الفضل والتحكم وبالتالي، لكن كل هذه التوجسات لا تمنع من الاستبشار بالمستقبل.. مستقبل الثورة.. ومستقبل سوريا بلا بشار.

